مجلة بحوث
كلية الآداب

البحث (١٥)

التماسك النصى فى جملة التفضيل

إعداد

الباحث / أيمن خميس عبد اللطيف إبراهيم أبو مصطفى
لدرجة الدكتوراة بقسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة المنوفية

تحت اشراف

أ.د / عيد بلبع
أستاذ بقسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة المنوفية

السنة ٢٧ العدد (١٠٥) ابريل ٢٠١٦م

http : // Art.menofia . edu. eg *** E- mail: rifa2012@ Gmail.com

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التماسك النصي في جملة التفضيل

الباحث/أيمن خميس عبد اللطيف إبراهيم أبومصطفى
لدرجة الدكتوراة بقسم اللغة العربية كلية الاداب – جامعة المنوفية
تحت إشراف
أ.د/ عبد بديع استاذ بقسم اللغة العربية كلية الاداب جامعة المنوفية

التماسك النصي فى جملة التفضيل:

نبدأ هنا بما قاله د.محمد أبو موسى :"يجب أن ندرس وجوه الترتيب بين المعاني الجزئية الداخلة في تكوين النص ، لأن وجوه الترتيب هذه هي التي أقامت بناءه وصورته"[1] وقد بدا لنا البدء بهذه الكلمات لأن" المنطلقات النظرية في النظريات اللسانية المختلفة تُعد الجملة دائرة البحث ، وهي أقصى درجات التركيب ، مما جعل هذه النظريات تُغيِّبُ المبحث المتمثل في تحليل النص وتغفل الطرائق الإجرائية في بيان الحدود الفاصلة بين الجمل المكونة للنص "[2]فلا يتم التواصل بالجملة منفصلة عن النص ، فالجملة تتعلق بما قبلها وبما بعدها لتنتج دلالات يحددها السياق ،" فلاشك أن الجملة هي المقولة الأساسية في النظرية اللغوية ، غير أن الوحدة الأساسية للاتصال ليست الجملة بل النص"[3]

ومما يعزز هذه العلاقات أو التعالقات داخل البنية النصية للحديث مسألة التدرج الإسنادي في عرض الأفكار، لما تتضمنه من تسلسل منظّم، وتظهر جلية في التدرّج؛ لأن بنية التدرج هي بنية منطقية؛ فتحقُّق إحدى صور المعلومات داخل التتابع الجملي النصي يتوقّف على حدوث الأخرى، إذ تترابط المحتويات الدلالية للتراكيب الإسنادية بطريقة مقنعة ومؤثرة، فتتحقق في الحديث سمات النص كما ذكرها فاينرش "H.Weinrich" بأنه: " وحدة كلية مترابطة الأجزاء ، فالجمل يتبع بعضها بعضا وفقاً لنظام سديد ، بحيث تسهم كل جملة في فهم الجملة التي تليها فهماً معقولاً

---

[1] د.محمد أبوموسى بشرح أحاديث من صحيح البخاري صـ٤٢١.

[2] أحمد حسن جبل:التماسك النصي في القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة الأنعام،رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية، العراق ،٢٠١١م صـ٩

[3] نفسه صـ١٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

، كما تسهم الجملة التالية من ناحية أخرى في فهم الجمل السابقة عليها فهم
أفضل»(٤). الأمر الذي يساعد المتلقي في متابعة خيوط الترابط المتحركة عبر النص
التي تمكنه من ملء الفجوات أو المعلومات التي بين السطور ، وهي لا تظهر في
النص ، ولكنها ضرورية في فهمه وتفسيره.

ويمكن أن نقف على هذا في كثير من الأحاديث النبوية التي اعتمدت على
الهيكل التفضيلي ، ومن ذلك الحديث التالي:

" عن أبي هُرَيْرَةَ ، قَالَ النبي (صلى الله عليه وسلم) : سَتَكُونُ فِتَنٌ ، الْقَاعِدُ
فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي ، والماشي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي .
مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا ، فَلْيَعُذْ بِهِ "

فنلاحظ ترابط التراكيب على تعدد دلالاتها الجزئية مع اتفاقها في الفكرة الك
الرئيسة التي هي: (الابتعاد عن الفتن)؛ وذلك بفعل العلاقات السببية التي تربط
الدوائر الإسنادية المشكلة لهذا الحديث، فالمرء سيكون معرضا للفتن ، فتنبثق من
هذه الفكرة الدلالات الجزئية التي تحملها الأفكار المتتابعة، وهذه الأفكار هي:

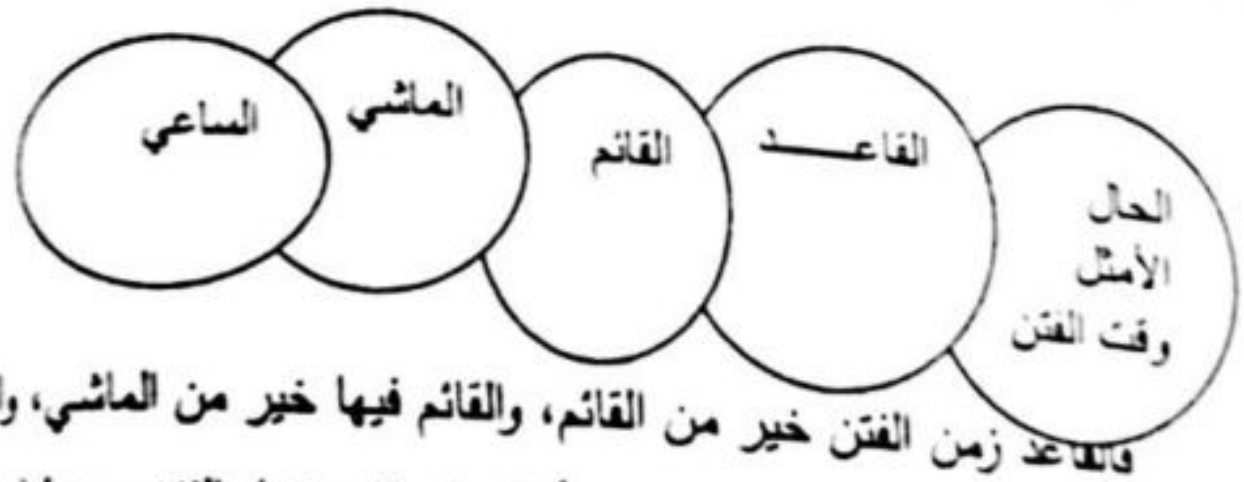

فالقاعد زمن الفتن خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيه
خير من الساعي .فهذا التدرج في بيان أمثل المواقف تجاه الفتن يبين لنا خطورة الفتن
وما تسببه من مفاسد وأضرار ، ثم نجد الجملة اللاحقة (مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ) التي
توضح شراسة وبشاعة الفتن ، فالمرء ينجو طالما ابتعد عنها ولذا جاءت الجملة
الختامية (فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا ، فَلْيَعُذْ بِهِ)باستخدم الفعل (وجد)وتنكير
(ملجأ)و(معاذا) لتوحي بقلة الطرق والحيل والسبل التي يحتمي الإنسان بها من الفتن

(Weinrich, H. Tempus, (1964) : besprochene and Erzahlte Welt, Stuttgart .p.212

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

، ونجد أن (الفعل المضارع المقترن بلام الأمر) يشير إلى هذه الضرورة .وبهذا تحقق الغاية من الخطاب التعليمي ، وبذلك تكون النتيجة المرجوة أو الفعل المنجز هو الابتعاد عنها .

فكل فكرة تُفضي إلى الأخرى وهكذا حتى نهاية الحديث، وهذه العلاقات تعزز الوحدة الموضوعية لبنية الحديث الشريف.

ومن مظاهر العلاقات السببية ظاهرة الترابط بين المقدمة والنتيجة وتحول عصر التشويق ، روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : - إن الله قال" من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه"

نلاحظ مدى الترابط والتلاحم والتراتب بين جمل هذا الحديث وبعضها ، يقول د. محمد أبو موسى معلقا عليه:"وابدأ هذا الحديث بالنظر في ترتيب معانيه ووجوه ارتباط بعضها ببعض وبناء بعضها على بعض ، وقد شغلنا بارتباط الكلمات في الجملة ووجوه التعلق فيها ، والفروق ، وسكتنا عن ارتباط المعاني ن ووجوه ترتيبها ونظمها ، وأعتقد أنه باب يجب أن تجري كل كلام ندرسه عليه"[5]

فجد أن جملة " من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب"هي الجملة الأم أو الأصل ، لأنها تعرض قضية مؤداها (إن لله أولياء) وهذه القضية تفرض سؤلا ضمنيا(فمن يجب أن يكون وليا؟)وتأتي الإجابة في بقية جمل الحديث ، كي يتحول الخبر إلى فعل منجز .

ومن ثم تكون جمل الحديث سلما ليرقى المرء من خلاله إلى منزلة الولاية:

(أداء الفرائض) ← وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه

(الحرص على النوافل) ← وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه

[5] د. محمد أبو موسى شرح أحاديث من صحيح البخاري ، ص٤٢٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونجد أن اسم التفضيل في الجملة الأولى جاء محفزا دافعا إلى الحرص على الفرائض وعدم التهاون فيها ، أما الجملة الثانية فقد كانت النتيجة أدعى لتحقق الطلب ، فالنتيجة حب الله، والطلب الحرص على النوافل ، وهما مقترنان متلازمان ، وليس ها فحسب بل إن النتيجة صحبها تفصيل لنتيجة الحب الذي هو نتيجة لأداء النوافل التي هي سبب لنيل الولاية ، وكأننا في دوائر مترابطة تسلم الواحدة للأخرى وصولا إلى المعنى المراد.

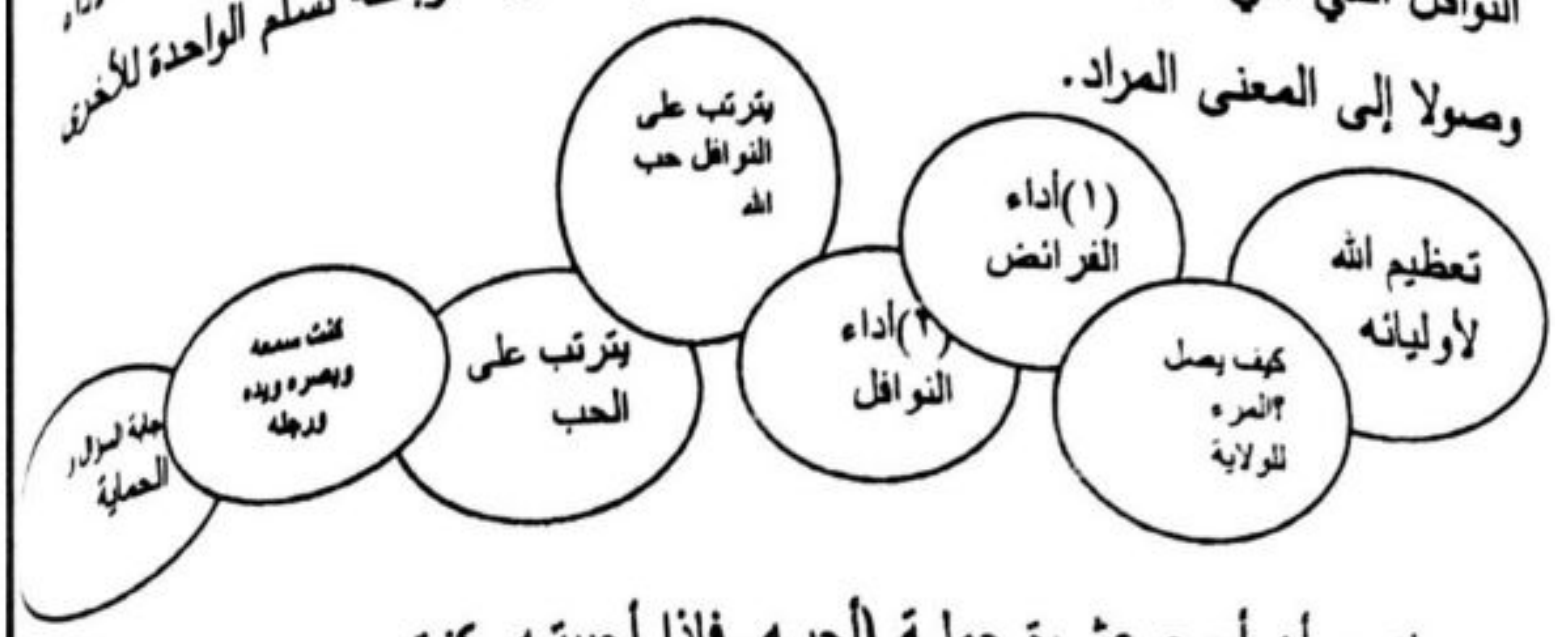

فنجد أن أربع عشرة جملة (أحبه..فإذا أحببته..كنت سمعه..يسمع به..كنت بصره..يبصر به..كنت يده..يبطش بها..كنت رجله..يمشي عليها..ولئن سألني ..لأعطينه..ولئن استعاذ بي..لأعيذنه)جاءت لاحقة لجملة "مايزال عبدي يتقرب "وهي معطوفة على جملة "وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب.."وهي إجابة لسؤال ضمني للقضية الأولى"من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب"

وهكذا تماسك الحديث وترابط حتى كأنه جملة واحدة ، وهذا حد البلاغة الذي حده العلماء به "أن يكون أول كلامك يدل على آخره وآخره يرتبط بأوله"[٦]

وسنقف بشيء من التفكر على جملة التفضيل"وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب مما افترضته عليه" كان من الممكن أن تأتي في هيكل أسلوبي آخر مباشر "فليؤد فرائضي" أو "فليحرص عبدي على الفرائض" ونلاحظ أن المعنى الحرفي واحد لكن صيغة الحديث التي رواها البخاري :بدأت بما النافية تبعها الفعل تقرب الذي يوحي بالتحبب والتزلف والتودد والتضرع مخصصا بالجار والمجرور (إلي)بما يحمله التخصيص من إخلاص وحرص ، متبوعة بلفظة"عبد "المضافة لياء المتكلم(الله

٦ ابن رشيق القيرواني: العمدة ، جـ١، ص٢٤٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تبارك وتعالى)مشفوعة بالنكرة (بشيء)الدالة على العموم ،كل هذه العلاقات التي تسلمك واحدة إلى الأخرى ولما تصل بعد إلى المقصد أو ما يريح القلب ويقنع الفكر.

ثم يأتي اسم التفضيل الذي يسلمك لدائرة أخرى من دوائر الفكر والتأمل لأنك ستقرأ الحديث استردانيا كي تربط بين ما قبل (أحب)وما بعدها ، ثم نجد المفضل قد تأخر وهو الاسم الموصول(ما)وجاءت جملة الصلة(افترضته عليه)مبينة وموضحة لمعنى(ما) وقد تقدم المفضل عليه(بشيء) الدال على العموم لبيان فضل الفرائض.

كما نلاحظ العدول عن "فرضته"إلى "افترضته"لما في (افتعل)من المشقة والعناء ويدخل فيها كل ما أوجبه الله تعالى من فرائض ظاهرة كالصلاة والصيام ..إلخ وباطنة كالعلم بالله وحبه والتوكل عليه والخوف منه ..

كما نجد هذا التعالق والتداخل والترابط ظاهرا واضحا فى حديث (يا مَعْشَر الشباب من استطاعَ منكم الباءة فليتزوّج، فإنه أغضُّ للبصر، وأحصن للفرج، ومَنْ لَمْ يستطعْ فعليه بالصوم، فإنّه له وِجاء).[٧]

فقد اعتمدت بنية النص الحديثي على علاقة السبب والنتيجة بالربط بين مجموعة من الجمل المتتالية ، ومن هذه الروابط التي أحدثت لوناً من التماسك النصي ، وتقوية أواصر التركيب، فاسم التفضيل " أغضُّ " التي تحيل إلى ما بعدها " لِلْبَصَرِ " ، واسم التفضيل " أَحْصَنُ " والإحالة فيه إحالة بعدية إلى " لِلْفَرْجِ " ؛ وهو ما يقوي ترابط النص ، وتماسك عناصره . فنجد علاقة تلازم بين (أغض) و(البصر) وبين (أحصن)و (الفرج) هذه العلاقة تسهم فى تماسك واتصال النص ، وقد جاءت المقابلة وسيلة من أهم وسائل الترابط الدلالي في النص الحديثي ، وظهر ذلك جليا في مقابلة الجملتين الشرطيتين في حديث الزواج ، ففي الأولى الاستطاعة " مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ " ، ويترتب عليها الأمر بالزواج ، وفي الثانية عدم الاستطاعة "، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ " ، ويترتب عليها الأمر بالصوم ، وقد عبر الرسول ﷺ عن ترتيب الأمر بعدم التزوج الناتج عن عدم الاستطاعة ، بترتيب الصوم عليها ، إشارة منه إلى أنه لا يجب ترك فرصة للشيطان ؛ ليبعث فيه الرغبة

(٧) صحيح البخاري: ٣/٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الغريزية الفطرية المركبة فيه حال قوته ، وعدم قدرته على الزواج ، فجعل الصوم هو العلاج الناجع لغير المستطيع لمؤن النكاح .

إضافة لما سبق نجد البناء المنطقي للنص ، حيث جاءت الأفكار مسلسلة سلسلة منطقية ،ونجد أن الجمل مترابطة تربط الفاء فيما بينها محققة السبك النصي. وذلك في قوله ﷺ : " فَلْيَتَزَوَّجْ " و "فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ " ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ " ، و" فعليه بِالصَّوْمِ" ، و "فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ" ، فهذه الفاء المتكررة فى تتابع وإيقاع سريع ، تؤثر بضرورة الإسراع في الوقاية من الشهوة العارمة لدى الشباب، وذلك باتخاذ الوسائل والسبل التي حددها الحديث ؛ لتجنب كل ما من شأنه أن يعرض المسلم لخطر الزنى.

وهذا شاهد آخر على ترابط وتداخل وتعالق جملة التفضيل بغيرها من الجمل ، أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها (٦٠٣٢) (أن رجلا استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه قال : (بئس أخو العشيرة ، وبئس ابن العشيرة) . فلما جلس تطلق النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه وانبسط إليه ، فلما انطلق الرجل قالت عائشة : يا رسول الله ، حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا ، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(يا عائشة ، متى عهدتني فحاشا ، إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره)).

فأول ما يلفت النظر في هذا الحديث هو استغلال النبي صلى الله عليه وسلم للفرص ، حيث إن استغل هذا الموقف للتوجيه والإرشاد والتعليم ، ثم نجد حسن الابتداء ، وذلك من أثر : إن شر الناس عند الله يوم القيامة – في بداية الحديث التي ترفع من درجة استقبال المتلقي للنص إلى غايته ، وتخلق في نفسه الوجدان الذي يستدعيه هذا الابتداء من النفور والاشمئزاز من المعنى المنتظر ، وأصبح البدء قادراً على إنتاج الانفعال اللازم للمعنى قبل وصول المعنى ذاته ، " ولذلك تنال بدايات النصوص من اهتمام المبدع مالا تناله الأجزاء الأخرى في النص " ومما يحد من حرية المتكلم أو الكاتب أنه لا يستطيع إصدار أكثر من كلمة في وقت واحد وعندما

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ينظم هذه الكلمات الفردية في شكل جمل ثم ينظم هذه الجمل في نصوص فإنه ، بواجه ما يعرف بـ : مشكلة تسلسل الكلام ، فعليه أن يختار نقطة البداية ، فهذه النقطة ستؤثر في فهم المتلقي لكل ما يليها في الخطاب حيث أنها ستمثل السياق النصي الأولى لكل ما يلحقها . (١) ومع أثر حسن الابتداء الذي ينتجه للنصوص ، لم يترك علماء البلاغة الأمر على مصراعيه ، لكل متحدث أن يأتي بما شاء وقتما شاء ، ولكنهم حدوا البديع بحدود فوق مجرد الإتيان بالفن ، هذه الحدود من شأنها أن تكفل لهذه الأساليب الجودة والقبول يقول أبو بكر الباقلاني ت ٣٧٢ هـ عن أشكال البديع المقبولة " وإن صلح أن تكون هذه الوجوه مؤثرة في الجملة آخذه بحظها من الحسن والبهجة؛ متى وقعت في الكلام على غير وجه التكلف المستبشع والتعمل المستبشع . (٢) يقول الزمخشري ت ٥٣٨ هـ صاحب الكشاف عن شروط حسن البديع "وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ بشرط أن يجيء مطبوعاً أو يضعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده" .(٣) أي أن المدار ليس في التزيين والتحسين البعيدين عن المعنى ولكن على " القدرة على تزيين الفكرة أو المعنى وجعلها مقبولة مؤثرة " . (٤)

ثم نجد التأكيد وما ينتجه من دلالة التمكين للخبر فهو تأكيد للخبر لا للمخاطب فقد ذهب علماء البلاغة إلى أن التأكيد يدخل ضمن مراعة حال المخاطب ، وقد قسموا هذه الأحوال إلى :مخاطب خالي الذهن ، ومخاطب شاك ، وخاطب منكر ، وفي حالة الإنكار يحتاج المتحدث إلى تأكيد كلامه بوسيلة أو أكثر حسب درجة هذا الإنكار ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم يحدث صحابته الذين لا يشكون في صدقه ، بل يعتقدون أن ما يقوله شرع ودين يدينون إلى الله اتباعا وتخلقا ، ومن ثم فإن التأكيد هنا لمضمون الخبر "

(١) ج براون ، ج يول تحليل الخطاب ، ص ١٤٥ ، ت د : محمد لطفي الزليطني ، د : منير التريكي .
(٢) أبو بكر الباقلاني . إعجاز القرآن ، ص ٨٤ .
(٣) الزمخشري . الكشاف ١٤٤/٣ ، دار المعرفة ، بيروت .
(٤) د . صلاح فضل . علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ، ص ٧٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإن وصف صاحب هذا الخلق بأنه من أشر الناس يومئ للمؤمن به [illegible] للجزاء وترهيب منه ؛ فالمؤمن حريص على أن يتقرب من [illegible] فكأن هذه الجملة الخبرية ولدت جملة إنشائية استفهامية تدل بهذه [illegible] مضمونه(من أشر الناس يا رسول الله؟).

ثم يأتي التفضيل المطلق باستخدام شر مميزة بكلمة منزلة متعلق به [illegible] والمجرور(عند الله) هذه الجملة الطويلة المروعة التي تجعل المتلقي مشدود [illegible] مترقبا لتمام المعنى فهذا الهيكل الأسلوبي تتولد عنه دلالة التزجر والتحذير من [illegible] النفس في هذا الموضع ، فترغب النفس في حسن الخلق وجميل القول [illegible] الفحش والغلظة .

ونجد التعالق النصي قائما بواسطة جملة الشرط التي تتطلب فعلا [illegible] له ، ومن التفصيل بعد الإجمال وتوضيح المبهم كما يتضح خلال الحديث [illegible] أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :[illegible] القيامة شُفِّعتُ ، فقلت :يارب أدخل الجنة من كان في قلبه خردلة ، فيدخلون [illegible] أقول :أدخل الجنة من كان في قلبه أدنى شيء"فقال أنس :كأني أنظر إلى [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم . رواه البخاري ٧٥٠٩.

فالنبي صلى الله عليه وسلم حريص على أمته ، يحبهم ويحرص على آخرهم حرصه على أولهم ،فهو يوجههم إلى ما فيه الخير والصلاح ، ويظهر ذلك من خلال حرصه على أن يأخذ بأيديهم إلى الجنة ،وهو يبين لهم حتى يعرفوا حبه ومنزلته صلى الله عليه وسلم ، وليجذب إليه القلوب ، فأمر الشفاعة أمر غيبي ، والأمور الغيبية يكون الإقناع بها عسيرا إن لم يكن الخطاب خارجا من مصدر ذي ثقة، والنبي صلى الله عليه وسلم الصادق الأمين ، الذي شهد له معاندوه بالصدق والأمانة ، وأصحابه يعرفون صدقه وأمانته ، لذا فكلامه لايحتاج إلى تأكيد ، وإخباره عن الغيبيات لن يواجه بالإنكار ، فهاهو يخبر أصحابه عن الشفاعة ، وكلهم قد استحضر صورة العرض من خلال البدء بـ(إذا) الظرفية الشرطية ، مشفوعة بفعل الشرط (كان التامة) مردوفة بمرفوعها (يوم) مضافا إلى ما يحدد معناه(القيامة)هذه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجملة (جملة فعل الشرط) تجعل النفس مشوقة وجلة لمعرفة الجواب ، لما يشكله يوم
القيامة من أهمية في النفوس ، فهو يوم الفصل الذي يجتهد الجميع ابتغاء الفوز فيه
والمؤمنون على الحلال ويعرضون عن الحرام وهم يستحضرونه.

ويكون جواب الشرط جملة "شُفعتُ"وتتوق النفوس كلها إلى أن تحظى بهذه
الشفاعة ، والصحابة موقنون أن كل واحد من البشر مُعرض للخطأ والنسيان ، لذا
هم حريصون على شفاعته صلى الله عليه وسلم.

ثم يقوم النبي صلى الله عليه وسلم بتوضيح الشفاعة ونصها ، وهو ببناء الفعل
شُفعتُ للغير المعلوم قد أوجز ، لأن حديث الشفاعة طويل ، ولايكون استشفاعه إلا
في نهاية الحديث ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم هنا لا يقصد بيان هول الموقف
وإنما أراد بيان مدى حبه وحرصه على أمته.

يقول :" فقلت يارب أدْخِلِ الجنةَ من كان في قلبه خردلةً" فهنا نجد مقام التضرع
والسؤال ، فالنبي صلى الله عليه وسلم يسأل ربه "يارب" فقد آثر لفظة "رب" ولم يقل
"الله" لأن المقام مقام استعطاف وطلب رحمة ، والربُّ هو المربي ، فهو أرحم بمن
يربي ، وقد قرن الله في كتابه بين الربوبية والرحمة "الحمد لله رب العالمين الرحمن
الرحيم" وقد اقترن الدعاء في غالب القرآن بالربوبية "ربنا" "رب" .

فهذه الجملة الطلبية المسبوقة بالنداء الدال على تمام الخضوع تجعل المتلقي
مستحضرا للصورة ، ثم يأتي الطلب "أدخل" فالفعل هنا يسمى في علم النحو فعل أمر
يحمل دلالة الطلب ، ولكن دلالة الطلب هنا ليست إلزاما وإنما توسل ودعاء وأمل
ورجاء ، "أدخل الجَنةَ" وهي قرة العين ومهوى النفس مطلب جدّ المجدون لأجله ، وقام
القائمون لنيله ، سالت لها مهج القلوب ، وجفت لأجلها الحلوق ، ولكن ربما قصرت
الأعمال وسبقت الآمال، فحُجِزوا عن دخولها ،ومنعوا استنشاق ريحها، فتأتي
الشفاعة طوق نجاة ، والشفاعة هنا يبدو أنها ستشمل من قصر به العمل ،حتى
منعه عمله عن دخولها ، فيأتي "من كان في قلبه خردلة" ونلاحظ مدى ملائمة اللفظة
لسياق الحال ، فكلمة "خردلة" تعني الصغر والموزون محذوف "من إيمان" دل عليه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الموقف .ولعلنا نستنتج من الفاء فى (فيدخلون) سرعة الاستجابة الدالة على عظم الداعي صلى الله عليه وسلم.

ثم يبين الحديث مدى الحرص بتعدد الشفاعة والطلب "ثم أقول :أدخل الجنة من كان فى قلبه أدنى شيء"إنه التدرج فى السؤال والسخاء فى العطاء ، والمفضل عليه محذوف تقديره (من إيمان أو صلاح أو تقوى).

وتتضح لنا أهمية وسائل سبك النص وتماسكه خلال هذا الحديث النبوي الشريف :

روايات الحديث:

أُهديَتْ للنبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم حُلَّةُ حريرٍ، فجعل أصحابُه يمَسُّونها ويَعجَبون من لينِها، فقال : (أتعجَبون من لينِ هذه ؟ لَمناديلُ سعدِ بنِ مُعاذٍ خيرٌ منها وألْيَنُ) .

الراوي : البراء بن عازب | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري

الصفحة أو الرقم: ٣٨٠٢

أُهدِيَ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم سَرَقَةٌ من حَريرٍ، فجعَل الناسُ يتَداوَلونها بينهم ويَعجَبونَ من حُسنِها ولِينِها، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : (أتَعجَبونَ منها) . قالوا : نعم يا رسولَ اللهِ، قال : (والذي نفْسي بيدِه، لَمَناديلُ سعدٍ في الجنةِ خيرٌ منها) .

الراوي : البراء بن عازب | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري

الصفحة أو الرقم: ٦٦٤٠

أُهْدِيَ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ جُبَّةُ سُنْدُسٍ ، وكانَ يَنْهَى عن الحريرِ ، فعَجِبَ الناسُ منهَا ، فقال : (والذي نفسُ محمدٍ بيدِه ، لمناديلُ سعدِ بنِ معاذٍ في الجنةِ أحسنُ من هذا) . وقال سعيدٌ ، عن قتَادَةَ ، عن أنسٍ : إنَّ أُكَيدِرَ دَوْمَةَ أهْدَى إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

الراوي : أنس بن مالك | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري

الصفحة أو الرقم: ٢٦١٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أتى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بثوبٍ من حريرٍ ، فجعلوا يعجبون من حسنِهِ ولينِهِ ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : لَمَناديلُ سعدِ بنِ معاذٍ في الجنةِ خيرٌ من هذا .

الراوي : البراء بن عازب | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري

الصفحة أو الرقم: ٣٢٤٩

أُهديَتْ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حُلَّةٌ من حريرٍ . فجعل أصحابُه يمسونها ويعجبونَ من ليِنِها . فقال " أتعجبون من لينِ هذه ؟ لمناديلُ سعدِ بنِ معاذٍ في الجنةِ ، خيرٌ منها وألينُ " .

الراوي : البراء بن عازب | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم

الصفحة أو الرقم: ٢٤٦٨

إن سعدًا كان من أعظمِ الناسِ وأطولِهم وإنه بُعِث إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم جُبَّةٌ من ديباجٍ منسوجٌ فيها الذهبُ فلَبِسَها رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فصَعِدَ المنبرَ فقام أو قعَدَ فجعل الناسُ يلمِسونها فقالوا: ما رأينا كاليومِ ثوبًا قطُّ فقال: أتعجبون من هذا ؟ لمناديلُ سعدٍ في الجنةِ خيرٌ مما ترون.

الراوي : أنس بن مالك | المحدث : الترمذي | المصدر : سنن الترمذي

الصفحة أو الرقم: ١٧٢٣

دخلْتُ على أنسِ بنِ مالكٍ فقال لي : مَن أنتَ ؟ قُلْتُ : أنا واقدُ بنُ عمرِو بنِ سعدِ بنِ مُعاذٍ قال : إنَّكَ بسَعدٍ لَشبيهٌ ثمَّ بكى فأكثَرَ البكاءَ قال : رحمةُ اللهِ على سَعدٍ كان مِن أعظَمِ النَّاسِ وأطوَلِهم ثمَّ قال : بعَث رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم جيشًا إلى أكَيْدِرِ دُومَةَ فأرسَل إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بجُبَّةِ ديباجٍ منسوجٍ فيها الذَّهبُ فلبِسها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقام على المِنبَرِ أو جلَس فلَمْ يتكلَّمْ ثمَّ نزَل فجعَل النَّاسُ يلمِسونَ الجُبَّةَ وينظُرونَ إليها فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : (أتعجَبونَ منها) ؟ قالوا : ما رأَينا ثوبًا قطُّ أحسَنَ منه فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : (لَمناديلُ سعدِ بنِ مُعاذٍ في الجنَّةِ أحسَنُ ممَّا ترَوْنَ)

الراوي : أنس بن مالك | المحدث : ابن حبان | المصدر : صحيح ابن حبان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من الملاحظ أن الروايات كلها اتفقت فى الهيكل الأسلوبى المكون من :
(لام الابتداء(لمناديل) -الإضافة (سعد)-اسم التفضيل (خير -احسن)
المفضل عليه (من هذه -مما ترون -من هذا-منها)
ونلاحظ أن الاختلاف جاء :
فى بعض الألفاظ كما سبق التوضيح.
فى التقديم بجملة القسم أو عدم ذكرها.
فى جملة القسم ذاتها (والذي نفسي بيده- والذي نفس محمد بيده).
فى إلحاق اسم تفضيل آخر (ألين) وعدم ذكره.

ومما سبق نستطيع أن نتأكد من ثبوت هذا الحديث عن النبي صلى الله عل
وسلم .

فالحديث يحمل طلبا ضمنيا بحب سعد بن معاذ ﷺ والاقتداء به لكل من يريد
أن يحظي بالمعني الذي اختص به سعد بن معاذ في الحديث.

ولم يردﷺ أن يذكر هذه الحقيقة إلا بعد أن يلفت أنظارهم،و يهيأ نفوسهم لتقبل
،ومن هنا استعمل رسول الله أسلوب الاستفهام في بداية هذا الحديث.

فقد تعجب الصحابة من غيرة سعد بن عبادة رضي الله عنه وشدتها فكان رد
النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد فصلت الجملة الثانية عن الأولى لما بينهما من
كمال الانقطاع؛ لاختلافهما في الإنشائية والخبرية ، وفي ذلك الفصل إشارة إلى
التباين التام بين الغيرتين ، كما أكدت اللام في الخبر ذلك أيضا ، وجاءت جملة
(والله أغير مني)موصولة بالجملة التي قبلها لاتفاقهما في الخبرية والمضمون فجاءت
الغيرتين واحد ؛فهو لا يغار إلا إذا انتهكت محارم الله فغيرته لدين الله ، وغيرة الله
لأن ياتي العبد كا حرم الله عليه.

ففي سؤال النبي صلى الله عليه وسلم فى مستهل الحديث مناسبة للسبق
الخارجي الذي رواه الرواة ، فلقد أهديت لرسول ﷺحلة حرير فجعل أصحابه يمسونها
ويتعجبون منها فجاء الجواب أو التوضيح بلام اختلف فيها اللغويون (هل هي للقسم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ام للابتداء) ولكن لثباتها في جميع الروايات مع وجود القسم ما يعزز أنها ليست للقسم بل للابتداء، وهذه اللام أسهمت مع القسم ومع الإحالة بالإشارة إلى السياق الخارجي (هذا) في سبك النص وترابطه وتعلق بعضه بالبعض.

وهنا يظهر دور السياق العام الذي يجب أن يكون المتلقي ملماً به ، حتى يكتمل المعنى في نفسه ، فبمعرفته يستطيع القارئ والسامع أن يربط بين الكلام ومن يعنى به ، وإلا أصبح مجرد خبر ينقصه كثير من التوضيح كي تتحقق فائدته.

فقد تكون براعة الاستهلال مثيرا لتساؤل يأتي من بعده جواب مثير لتساؤل آخر على نحو ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري الذي سنبدأ بتخريجه ومقارنة رواياته للوقوف على الاختلافات :

الرواية الأولى:

إنَّ أكثرَ ما أخافُ عليكم ما يُخرِجُ اللهُ لكم من بركاتِ الأرضِ . قيل : وما بركاتُ الأرضِ ؟ قال : زهرةُ الدُّنيا . فقال له رجلٌ : هل يأتي الخيرُ بالشرِّ ؟ فصمت النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حتَّى ظننتُ أنَّه ينزِلُ عليه ، ثمَّ جعل يمسَحُ عن جبينِه ، فقال : أين السَّائلُ . قال : أنا . قال أبو سعيدٍ : لقد حمِدناه حين طلع لذلك . قال : لا يأتي الخيرُ إلَّا بالخيرِ ، إنَّ هذا المالَ خضِرةٌ حُلوةٌ ، وإنَّ كلَّ ما أنبت الرَّبيعُ يقتُلُ حبطًا أو يلُمُّ ، إلَّا آكلةَ الخضرِ ، أكلت حتَّى إذا امتدَّت خاصرتاها ، استقبلت الشَّمسَ ، فاجترَّت وثلَطت وبالت ، ثمَّ عادت فأكلت . وإنَّ هذا المالَ حُلوةٌ ، من أخذه بحقِّه ووضعه في حقِّه فنعم المعونةُ هو ، ومن أخذه بغيرِ حقِّه كان كالَّذي يأكلُ ولا يشبعُ" (٢)

الراوي : أبو سعيد الخدري | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري

الصفحة أو الرقم: ٦٤٢٧

تأتي الرواية الثانية عند مسلم ١٧٤٣ عن أبي الطاهر عن عبد الله بن وهب عن مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن عطاء عن الخدري ، بلفظ الرواية الأولى ،

(٢) اللؤلؤ والمرجان ، ٦٢٥/١٨٩ مسلم ، كتاب ١٢ الزكاة ، باب ٤١ نموذج ما يخرج من زهرة الدنيا ، والبخاري كتاب ٨١ الرقاق باب ٧ ، ما يحذر من زهرة الدنيا . الربيع النهر الصغير ، الحبط : انتفاخ الطن ، يلم : يوشك ، الخضرة : أنواع من العشب .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بتغوير : إن أكثر ما أخاف عليكم إلى أخوف ما أخاف و : الخضرة الخضر .

وزواية ثالثة عند النسائي ٢٥٢٤ عن الخدري أيضاً به : إنما أخاف عليكم مر بعدي .

وتأتي الرواية الرابعة في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري وتحمل تغويراً طفيفاً في مستوى المفردات ، وتحمل كذلك اعترافاً من الراوي بأن هذا ما تمكن من تذكره وقد يكون فيه بعض التغوير ، مما يعكس تحري وصدق الراوي فيما يقول عن رسول الله (ﷺ) نصها : " ..... إنه لا يأتي الخير بالشر ، وإن مما ينبت الربيع يقتل أو يلم إلا آكلة الخضراء ، أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس ، فثلطت وبالت ورتعت . وإن هذا المال خضرة حلوة فنعم صاحب المسلم ما أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل ، أو كما قال النبي (ﷺ) وإنه من يأخذه بغير حقه كالذي يأكل ولا يشبع ويكون شهيداً عليه يوم القيامة . " (٢)

اتفقت هذه الرواية مع الروايات السابقة في الأساليب الثلاثة : حسن الابتداء والمراجعة والإيضاح .

وزادت هذه الرواية : فنعم صاحب المسلم ما أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل . ولم ترد هذه الجملة إلا هنا فقط ، وعقب عليها بقوله .

- أو كما قال (ﷺ) - التي تحمل تصريح الراوي بأن هذا ليس نفس لفظ الرسول (ﷺ) ، وقد يكون دخله شيء من لفظه هو من نسيان أو سهو .

وقد وردت هذه الرواية عن معاذ بن فضالة عن هشام عن يحيى عن هلال بن ميمونة عن عطاء بن يسار عن الخدري . واتفقت مع الروايات السابقة في الراوي الأول والثاني مما يجعل هذه الزيادة وهذا الشك من أحد الرواة .

أما الاختلافات بين الروايات غير هذه الزيادة فطفيفة مثل :

١- إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض .

(٢) اللؤلؤ والمرجان ٦٢٦/١٩٠ مسلم ، كتاب ١٢ الزكاة باب ٤١ تخوف ما يخرج من زينة الدنيا ، والبخاري ، كتاب ٢٤ الزكاة ، باب ٤٧ الصدقة على اليتامى .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢- أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض .
٣- إنما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض .
٤- إني مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها .

المعنى والهيكل متفقان بين الأساليب الأربعة ولكن الاختلاف في زيادة مفردة ونقصان أخرى ، ويظهر مكن مقارنة هذه الجملة فى الروايات الأربع كما هي واضحة في هذا الرصد ؛ يظهر تمسك الرواة بخيط غير مادي في أيديهم يكررونه كل مرة يستدعى فيها السياق هذا النص ، وهو خيط معنوي مسموع ومحفوظ يتمثل فى النسق الذى سمعوه من الرسول (ﷺ) فى أول مرة ، وتأتي مخالفته غير مقصودة من أحد الرواة حين ينسى لفظاً أو يقدم آخر ويؤخر ثالث .

فنجد البدء بما يثير ويخوف ويحذر ، فجاء الأسلوب الذي يحقق ذلك وهو حسن الابتداء بما يشتمل عليه من عدم ظهور الدلالة إلا بعد تشوق لتمامها وبما تحمله من تخويف وتحذير ويأتي التأكيد في بدايتها ضاغط أسلوبي يوحي بخطورة الموقف وضرورة التنبه ، : إن أكثر ما أخاف عليكم ... الأرض .

وهذه البداية أثارت وحركت فجاء التساؤل: وما بركات الأرض ؟

وربما يظن السامع أن الجواب سيأتي بما يشبع نهمه ، لكنه يفاجأ بجواب يثير الحيرة ويبث الخوف :" زهرة الدنيا" والمراد عموم الخيرات والنعم من الأرض .

فالخير نعمة وعطية تشعر بالسعادة والراحة ولا توجب الخوف والحزن ، فينتج تساؤل آخر :

أو يأتي الخير – زهرة الدنيا – ، بالشر – المتوقع من خوف الرسول (ﷺ) ؟ ثم جاء الإيضاح بالصورة التمثيلية لحال الذي يرزقه الله خيراً كثيراً بحال آكلة العشب إذا عرف حق الله فيه فيكون المال بركة وخيراً عليه ، وحال من أتاه الله خيراً كثيراً ولم يعرف حق الله فيه بحال آكلة نبات الأنهار الذي يؤدي بحياتها .

فنجد ثلاث خطوات متسلسلة تسلم الواحدة للتي بعدها في ترابط يوحي بضرورة الحذر:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

البداية اللافتة المثيرة

- "إن أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض" وذكر

- ترتب عليها التساؤل:"

- الجواب المقرون بالإيضاح التمثيلي المعتمد على التشبيه.

فنجد أن الحديث تعالق بعضه ببعض واتصل أوله بأخره مما يحقق التماسك النصي ، فنجد أن الحديث أدى غايته التعليمية ومكن للحقائق التي أرادها بالضواغط الأسلوبية (بيان ومعان -تراكيب- وبديع) فجاءت منسبكة متداخلة مترابطة .

فقد ترتبت الألفاظ في النص، وارتبط بعضها ببعض؛ حتى لا يستطيع أحد أن ينقل لفظا من موضع إلى آخر، وإن فعل فإن المعنى يختل، ويخرج النص من الجودة إلى الرداءة، ومن القوة والرصانة إلى الركاكة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner